[19] والخراب الذي اخذ يضرب بأطنابه في اطراف الدولة ادركوا بان الامر - إذا تم التأمل فيه - كان يستدعي المبادرة إلى انقاذ ما يمكن انقاذه من الدمار والخراب الحتمي، ورفع السيف عن رقاب المسلمين، ودفع الانتهاك عن اعراضهم، وكان لا بد لمدينة الحلة ان تبادر فورا إلى اتخاذ ذلك الموقف السليم، لما كانت تعج به آنذاك من كبار رجالات الشيعة وعلمائهم امثال: المحقق الحلي، والسيد ابن طاووس، والامام سديد الدين يوسف بن علي والد العلامة الحلي وغيرهم، وحيث اتفقوا على الكتابة إلى هولاكو كتابا يطلبون فيه الامان لمدينة الحلة وما يحيطها، في محاولة اخيرة منهم لايقاف نزيف الدم الكبير الذي صبغ ارض الدولة الاسلامية نتيجة جهل الخلافة في بغداد، والعمل على صرف توجه المغول لاجتياح باقي مدن العراق، التي هي بلا شك عاجزة امامهم عن فعل اي شئ. وبالفعل فقد تشكلت عدة وفود لمقابلة هولاكو والتباحث معه حول السلام وحول ايقاف المجازر المهولة التي حلت بالمسلمين، كان آخرها - وهو اعظمها - برئاسة السيد ابن طاووس رحمه ا، وحيث افلح هذا التدبير في ايقاف الهجوم المغولي، وانقاذ ما امكن انقاذه من الانفس والاعراض والاموال. ولما استقرت الامور بعد انحسار المد المغولي الهائج تفرغ السيد ابن طاووس رحمه ا إلى البحث والتأليف والتدريس، حتى ولي في عام 661 ه نقابة الطالبيين التي استمر بها حتى وفاته في صباح اليوم الخامس من شهر ذي القعدة عام 664 ه، وحيث حمل جثمانه الطاهر إلى مشهد جده أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في النجف الاشرف على أصح الاقوال (1)،

_____ (1) في تحديد قبر السيد ابن طاووس بعض الاختلاف والتفاوت، فقد ذهب الشيخ البحراني في لؤلؤة البحرين (241) إلى ان قبره غير معروف الآن. وذكر المحدث النوري في خاتمة المستدرك (3: 472): ان في الحلة في خارج المدينة قبة عالية = _____